فالحصان هو مرادف رمزي لشخصية البطل، «العاشق»، الواقعية، يغني الشخصية الواقعية برمزيته. فمثلما يتنقل العاشق من اسم إلى آخر، فانه يتنقل من حصان إلى آخر يطلق عليه اسماً جديداً (سمرا، ريح، الهيجا)... ويظل هو يشبه الحصان.. «وبدا لي لوهلة، وهو محني فوق الوهج أمام صفحة السماء الشهباء، يشبه الحصان الفتي» (ص ٤٢٣).

تتغير الأسماء، وتتغير الجياد، لكن الحصان يظل حاضراً يرافق الشخصية في مصيرها المحكوم بالجموح والانطلاق، فيصبغ هذا الرمز في دلالته، على الشخصية، دلالات جديدة تعمقها وتثريها.

يرتبط «العاشق» بالفرس «سمرا» بعلاقة حميمة تقترب من درجة التوحد، فهو «يحادث سمرا وينام إلى جوارها فوق هسيس التبن» (ص ٤٢٩، ٤٣٠). فتصبح الفرس كياناً متعاطفاً مع الصديق، تحزن وتنوح لمصائبه. وفي هروبه وتقمصه لاسم آخر، يتوسل الجياد مرة اخرى فتكون جديرة بحفظ السر «وسميت نفسي - قاسم - وكانت - ريح - أول من عرف، ومضينا طوال الليل نسير ونقف ونغفو قليلاً ونتحادث ونغني بصوت خفيض، ونبحث عما يتعين علينا أن نفعل...» (ص ٤٤٩).

ويبرز التلاقي بين الواقع والرمز في توحد العاشق والحصان في قدرهما المشترك ومصيرهما الواحد «ان اقدار الخيل مثل اقدار الرجال، افي ذلك ايما شك؟ ومثل اقدار الرجال تتلاقى اقدار الخيل، ولولا ذلك لما لاقيت الهيجا، ولما كان بوسعي ان اكمل فراري من الطيرة» (ص ٤٦٠).

أما رواية «الأعمى والأطرش» فانها جاءت لتحمل الرمز والواقع معاً، ولكن بانفصال تام. إذ تبدأ من الرمز وتستمر فيه لتعود في شقها الثاني إلى الواقع مستجيبة لمتطلباته المباشرة.

فالأعمى والأطرش، الباحثان عن الخلاص في أحد رموز الوهم، يكتشفان أن هذا الرمز لا يجترح المعجزات. لكن وعي الوهم لا يكون وحده قادراً على تحطيم الرمز. وقرار تحطيمه لا يكفي وحده لتحقيق الفعل. وإذ يغيب الفعل، يظل العاجزان عاجزين «ماذا أستطيع أنا وعبد العاطي أن نفعل في وجه العالم؟ هل بقي لدينا، بعد، متسع من الوقت لنفعل شيئاً؟» (ص ٥٢٩).

ولا يتحقق الفعل الحقيقي، بداية طريق الخلاص، من خلال هذين العاجزين، ثم انه لا يتحقق على المستوى الرمزي. فقد جاء خارجاً عنه، ونبت من أرض الواقع، في الشق الثاني من الرواية الذي انفصل تماماً عن الرمز الذي تميز في البداية... وارتد إلى واقع حار تهيمن فيه الهموم السياسية.

إن مسار الرواية الذي انتقل فجأة من البنيان الذهني الرمزي إلى البنيان الواقعي الذي يخدم وجهة النظر السياسية المباشرة، يسمح بالارتداد مرة اخرى إلى الشق الأول